

الإبداع في النقد الأدبي المعاصر بين سندان الاقتباس الغربي ومطرقة الخضوع للموروث

إصدارات تضيء على النظريات والإشكاليات بين مناهج قديمة وأخرى بنويّة حديثة

كتب محمد الخضر من دمشق (سائنا): تبدّلت معابير النقد في السنوات الأخيرة، تبعاً للظروف الثقافية والأدبية وانشغال الكتاب والنقاد والأدباء عن الحالة الثقافية الحقيقية، خاصة أن الشبكة الإلكترونية استولت على ذهنيتهم إلى حد كبير فأقتصر النقد وارتكز على منهج الماضي ونقاده، مكتفياً بتعداد الكتب التي طبعت ومآثر النقاد الغربيين، سواء على صعيد اللغة العربية أو القراءة النقدية المترجمة.

في مطلع الثمانينات اقتدى النقاد بأساليب العقاد وابراهيم عبد القادر المازني ومحمد مندور وطه حسين، أو تجاوزوا مثلما فعل الدكتور عبد القادر فديوح في كتابه «الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي» الصادر لدى اتحاد الكتاب العرب والذي حمل في أبوابه وعناوينه وطياته دراسة جميع المفاهيم النظرية التي أسقط عليها التحليل النفسي لعدد كبير من الشعراء، مع الإحاطة بجوانب سيكولوجية السلوك الإنساني، إذ يتعمق الناقد في عدد من القصائد مضيغاً إليها آراء عدد من النقاد على مر التاريخ، كما نشرت وزارة الثقافة كتاباً عنوانه «عن الشعر ومسائل الفن» للناقد رضوان الشهاب يعرض فيه لروى نقدية حول الفن والشعر، على نحو منطقي يفسر من خلاله البنية التركيبية لمأهبة اللوحة أو المنحوتة أو القصيدة وفق الواقع والخيال والدراسة الأكاديمية، مستشهداً بعدد من القاصد الشعرية التي أسقط عليها آراء نقاد وفنانيين كبار، معتمداً على رأيه وإمامه بالعديد من النظريات الثقافية والاجتماعية.

النقد الذي تعرض لأذى بعد انهيار الضوابط التي كانت تصون أسس الأدب بأجناسه المختلفة، خاصة بعد تدافع الشعر الحديث واختلاف أشكاله، ما خلق نقداً متعباً إلى حد بعيد لا يسعه غير الإعتدال على ما هو بين يديه، كما في كتاب «في التشكيل اللغوي للشعر... مقاربات في

النظرية والتطبيق» للدكتور حمد عبده فلفل الذي يسعي في مؤلفه إلى تناول مقترضة حول مدى صلاحية الشعر المحكوم بالوزن والقافية وطبيعة العلاقة بين الشاعر واللغة والبنية الشعرية بين القدامى والمحدثين، مع إشارات إلى رسالة دراسية تقلل من شأن الكتاب كما هي الحال في كتب كثيرة صدرت تحت ذريعة النقد وتدل على أنها دراسات جامعية.

في المقابل، يجري الدكتور ثائر زين الدين دراسات تطبيقية حول القصة والرواية في كتابه «في دروب السرد» دارسا عدداً من الروايات والمجموعات القصصية التي يشير فيها إلى وجود إبداع شباي، محللاً البنية الداخلية والمونولوج وتوالي الحوادث الروائية وطبيعة الشخوص والميل إلى التاريخي، مقتصراً معظم الأحيان على التوصيف.

الروائية فائزة محمد داود تطرق باب النقد بأسلوب جديد في كتابها «على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد»، مغلبة نزع الأدبية الاتّي في تناول النص الذي تفككه وتوضحه ملامحه، معتمداً على وعيها الإنثوي وموهبتها الروائية والقصصية، من دون أن تضع أسساً ومنهجاً، إنما طرحة موضوع جديدة وعناوين مبتكرة مثل قدمت «النصوص الرؤعية والملحمية» و«هوميروس والأعشى وقصائداهما».

كذلك أصدرت الهيئة العامة السورية للكتاب دراسة في النقد الأدبي عنوانها «لقاء» ترجمتها الدكتورة إنعام شرف عن كتاب من تاليف ميلان كوبديرا الذي يطغى عليه التفكير بين آراء لمؤرخين غربيين، فلا يعتمد المؤلف رابطاً حقيقياً بين النقد ومناهج هؤلاء الكتاب الذين تحدث عنهم، ما جعل الكتاب المترجم جافاً وغير متضمن سوى عرض لأسماء مثل فليب روث وفرانسوا رامبا.

في كتاب «الأدب المقارن» لهزري غيفورد الذي ترجمه

الدكتور فؤاد عبد، يسلك مؤلفه وهو من رواد مدرسة الأدب المقارن الإنكليزية التقليدية الأسلوب عينه المقصتر على المناهج الأدبية، محاولاً مناقشة قضية النغمة المشتركة بين الذين ينتمون إلى تراث ثقافي واحد، مع دراسة مصطلح «عقل أوروبا النقدي» ومعانيه. كما يوضح مراحل تطور الثقافة العالمية والإهتمام المتنامي في الأدب المقارن وكيفية التعامل معه في الأدب العالمي، إذ تبدت الهشاشة النقدية وغياب الموهبة.

تضعف الدلالات التطبيقية في كتاب «الإبداع الفني والواقع الإنساني» الذي ترجمه الدكتور شوكت يوسف عن كتاب لميخائيل خرايشنكو، علماً أن الكاتب أغنى بحته بالفلسفة وعلم النفس والثقافة وطرح الآراء التي تشمل علم الجمال والفن والاعتماد على عناوين لافتة ومقاييس زمنية وفكرية إنما بعيدة في مجملها عن ماهية الأدب ونقده، فبعض الأسماء التي تناولها، مثل «تولستوي»، ربط الحديث عن أدبها بنوازع النفسية والفلسفية.

المؤسسة العامة للسليمان أصدرت «فن الكتابة الكوميدية» للدكتور أسامة القفاش وفيه سرد بسيط وتعريفات ضعيفة يغلب عليها التساؤل وعدم التماسك بين الجمل، كسؤاله: ما هي كوميديا؟ ولماذا نضحك؟ وكيف نضحك؟ وهل عرف الناس الكتابة الكوميدية؟ محاولاً جمع الأفكار وذكر أسماء أفلام ومسلسلات بلا تفسير بنوي للكوميديا والكتابة، ما يخرج الكتاب من إطار الأدب والنقد.

يختلف النقد في أدب الأطفال عن سواه حيث نشر اتحاد الكتاب العرب كتاباً عنوانه «تجليات قصة الأطفال» للمحمد قرانيا ويشمل في صفحاته عدداً من تجارب الكتاب السوريين، وتبرز فيه خبرة الكاتب في توصيف الخيال العلمي والأدبي وتفكيك النسيج القصصي ومتابعة اللغة والحوار والوقوف عند الحدث والحجبة في معظم



النصوص، إذ ظل عدد من النقاد قابعين في مكتباتهم لشخصيتهم من مغية ما يقدمون عليه بعدما وصل إلى الساحة كم كتير من الدعاء ما حوّل النقد إلى تسميات يندرج تحتها الوصف والتعداد وذكر الأرقام.

في جانب آخر، اقتصرت الملفات الثقافية والدوريات على شرح وجهات النظر ورؤية الكاتب ونقلها حرفياً باسم كاتب السطور أو كاتب الصفحة، ما يشعل عناءً ثقافياً على الساحة النقدية.

الكبير الشفاهي

فنان سوفياتي يهدي بوتين خريطة قديمة لروسيا والقرم ضمنها

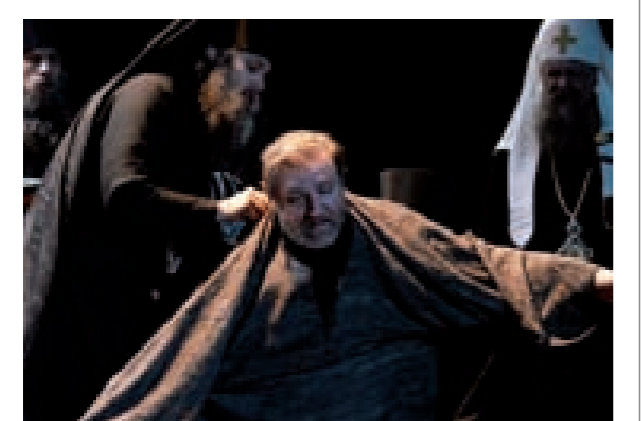


أهدى فنان الشعب السوفياتي المعروف يوسف كوبزون الرئيس الروسي فلاديمير بوتين خريطة روسية يعود تاريخها إلى عام 1804 رسمت عليها شبه جزيرة القرم كأقليم ضمن الإمبراطورية الروسية. وأوضح المغني السوفياتي الروسي للصحافيين في مدينة سيفاستوبول في شبه جزيرة القرم حيث يحيى حفلات فنية أنه اشترى هذه الخريطة في أحد متاجر التحف القديمة النمساوية.

وأشار إلى أنه بنوي زيارة جنوب شرق أوكرانيا في القريب العاجل، علماً أنه يجمع الآن معونات إنسانية لسكان تلك المنطقة.

الجدير ذكره أن فنان الشعب يوسف كوبزون يعتبر نفسه من أبناء جنوب شرق أوكرانيا، ودرجته السلطات الأوكرانية حديثة على القائمة السوداء للأشخاص المحظور عليهم زيارة أوكرانيا. وكان تخلي في تشرين الثاني الفائت عن لقب فنان الشعب الأوكراني لمصلحة الاحتفاظ بلقب المواطن الفخري لمدينة دنبروبيتروفسك الأوكرانية.

مسرحي ألماني يقدم عملاً لبوشكين على خشبة روسية



يبدأ مسرح «Et Cetera» الروسي في العام الجاري عرض مسرحية «بوريس غودونوف»، التي كتبها الشاعر الروسي الكبير ألكسندر بوشكين، وتقدم بـ«نكبة» الألمانية، إذ يتولى إخراج المسرحي الألماني المشهور بيتر شتاين الذي وقع اتفاقية مع إدارة المسرح ومديره ألكسندر كالياغين. وأوردت وكالة «نوفوستي» الروسية للأخبار أن شتاين المعروف بولعه بالآداب الكلاسيكي الروسي يخرج للمرة الأولى مسرحية مستوحاة من مؤلفات بوشكين، ويقول شتاين: «إن مسرحية «بوريس غودونوف» معروفة في أوروبا كإوبرا من تلحين الموسيقى الروسي مودست موسورغسكي. لكن صوغها الدرامي لم يقدم في أوروبا الغربية على الإطلاق، لذا قررت إخراج المسرحية في موسكو وليس في ألمانيا».

الجدير ذكره أن مسرحية «بوريس غودونوف» كتبها الشاعر الروسي العبقري ألكسندر بوشكين مطلع القرن التاسع عشر بناءً على الحوادث التاريخية الحقيقية التي دارت في روسيا في مطلع القرن السابع عشر، أي في حقبة القيصر بوريس غودونوف الذي تسلّم زمام السلطة في روسيا بعد قتله ولي العهد الفني الذي أنهت سلالته بعد وفاته.

يشارك بوشكين في مسرحيته على ضرورة انتقال السلطة من قيصر إلى آخر بطريقة شرعية، قائلاً إنه في حال خرق هذا القانون قد تسود البلال الفتنّة والفوضى، وهذا ما حصل في روسيا فعلاً بعد موت القيصر بوريس غودونوف.

«جدل العولمة» كتاباً بحثياً حول مفهوميّ الأدب الغربي والأدب العالمي

يتألف كتاب «جدل العولمة» للباحث الكينيّ نغويي واينونغو، ترجمة د. سعد البازعي، من مقدمة وأربعة فصول، وهي في الأساس محاضرات ألقاها نغويي، وعناوين الفصول الأربعة: «السيد الإنكليزي والعيد المستعمر»، «تعليم العبد المستعمر»، «المخيلة الجدل - عولمية: في العالم ما بعد الاستعماري»، «المحلي والشفاهي والسيد الكتابي: الأدب المحكي، المشافهة، المشافهة الافتراضية».

تقوم رؤية نغويي للأدب الشفاهي على أن هذا الأدب الذي عرفته جميع المجتمعات القديمة تمرّك حكاياته حول مجموعة من الأسئلة مثل لماذا وكيف ومتى وأين؟ التي تتعلق بظواهر الطبيعة، هذه الحكايات الرمزية والأساطير تمثل جميعاً مخيلة قصصية، تشكل الرواية التي لا تختلف عن الأسطورة والحكاية الرمزية امتداداً لها، فهي تقدم أيضاً رؤية للمجتمع قائمة على التفكير في الحياة الاجتماعية. ويخلص الناقد إلى أن الرؤية الروائية تشابه الرؤية العلمية لناحية المنهج، فكلتاها تلتقط المعلومات من الحياة والملاحظة الحسية، وكلتاها تضع خبرته في أنساق وتقيم علاقات في ما بينها على نحو يساعدهما في إقامة روابط تجمعهما.

الكتابة مثلما خبرها هي محاولة لفهم الذات والآخر، والاستيعاب ما يبدو من قوى لا عقلانية خلف الاستعمار. ولتأكيد هذه الرؤية يتحدث عن تجربته مع القصّة القصيرة التي شكلت عاملاً مساعداً له في استيعاب المواقف مع الفوضى، إضافة إلى فهمه عن الرواية باعتبارها ممارسة تحليل واختزال تستند إلى رؤية تمتد إلى ما وراء المكان والزمان اللذين تتخلق فيهما، من دون أن يغفل عن شرح علاقته بالمركسية وتأثيرها فيه، وتحجى ذلك في تحرره من النظرة الأحادية للواقع.

لعبت حركة الزوجية التي قادها ليزير وليوبولد سنغور وداماس دوراً مهماً في إتمام أطروحات مارس من خلال ما شكلته من انعكاس لوحدة ثقافية أفريقية، أو نزعة سرود عالمية. ورغم اعتبارها شكلاً من الوعي المتحقيّ فعلياً، إلا أنها ظلت نظرياً بعيدة عن تفسير العاقصة الاستعمارية في لحظتها الراهنة وكيونيتها الفعلية. استمدت الزوجية قيمتها من خلال الممارسة الأدبية والنظرية العرقية التي توّظف العرق والطبقة أحياناً على نحو متبادل.

في هذا السياق يقدم نغويي عرضاً لأهم الانتقادات التي وجهت إلى هذه الحركة من دون أن يغفل الدور المهمّ الذي لعبته في توجيه الإهتمام نحو أدب الزوج. وتشتغل ثنائية العبد والسيد جانباً أساسياً من مناقشات الناقد التي تركز على صورة هذه العلاقة ملطفاً تجلت في أعمال العديد من الكتاب الغربيين الذين ركّزوا على دور السيد في منح المعرفة للعبد. لذا يحاول إعادة تصحيح هذه العلاقة في ضوء حاجة السيد إلى العبد لا العكس، إضافة إلى أن ما تنتجها هذه العلاقة من رؤية للفلسفة والدين والتعليم والطبعية والإنسانية وتنظيم المعرفة يتعارض مع الجانب المعادي للعلاقة. إن خطورة هذه الرؤية تتمثل في أنها تتسرب عبر المجتمع لتصبح جزءاً أساسياً من الوعي، باعتبارها رؤية متأخرة والعالم الذي يعيش فيه.



ومؤثرات قادمة من بقاع العالم المختلفة ومن مصادر متنوعة. إن جدال العولمة المشتقة من الشكل الكروي للعالم هو بمثابة احتواء للهناء والبهناك في الزمان والمكان المتداخلين أيضاً، إذ تصبح القراءة من هذا المنظار طريقة لمقاربة أي نص في أي نقطة زمنية أو مكانية بهدف جعل محتواه ومواقفه تدخل في حوار مع النصوص الأخرى في زمان القارئ ومكانه. أهمية هذه القراءة، على ما يراها نغويي، تتجلى في جعل أقصى ما يحويه النص متاحاً للقارئ، ما يخلق تأثيراً وادراكاً متبادلين بين المحلي والعالمي، وما يمكن أن يشمل من زاوية الجدال العولمي الآداب الكلاسيكية أيضاً. مفهوم السيد والعبد يتجاوز لديه العلاقة بين الأدب الغربي وآداب العالم الثالث، إلى العلاقة بين الأدب الشفاهي والأدب الكتابي، رغم ما ينظر للشفاهي على أنه أكثر أصالة أو أقرب إلى الطبيعي، الأمر الذي يؤدي إلى اعتبار الشفاهي أقل أهمية إذ ينجم عنه طرد بعض الثقافات من التاريخ والأفكار المركبة، بعدما هيمنت الكتابة على الشفاهي مع مجيء الطبعية، وإن كانت تعود بجذورها إلى تاريخ الاستعمار. رغم ذلك يرى أن قدرات الأدب الشفاهي سوف توظف لإنراء الإبداع في عصر الإنترنت والقضاء الرقمي، فالمشكلة لا تكمن في حقيقة الشفاهي والمكتوب، بل في وضعهما والعلاقة التراتبية في ما بينهما.

كان ممكناً للأدب الشفاهي في هذا المنظر أن يساهم في افتتاح عهد أدبي جديد يدخله في تيار التاريخ الذي ينتمي إليه، كي تتضح قيمته ومنهجيته. ومن ناحية ثانية يصبح في إمكانه أن يكون أقدر على تقبل الأفكار الأخرى ومتصاصها، من دون أن يفقد جوهره. ويحدد الجماليات الشفاهية التي ما زالت تثير دهشة الدارسين بالطبعية المتداخلة للأشكال الفنية والأشكال اللفظية، والتي لا يمكن فصلها عن الرقص والموسيقى. ثمة صلة يراها قائمة بين اللفظي والأنغام الحنينة في الأغاني الموزونة، كما أن النص الشعري لا ينفصل عن النغمة، في حين لا يمكن الفصل بين النثر والشعر. وتتجلى الأدوار الاجتماعية للجماليات الشفاهية في العلاقة الحميمة التي تقيمها مع المجتمع ومن خلال اندماجها معه، ما يجعل هذه الجماليات تؤدي إلى نظرة متعددة الاختصاص، تصل إلى التاريخ وعلم النفس والدين والفلسفة.

يتوقّف نغويي عند العديد من الدراسات التي تناولت الأدب الشفاهي وما ينطوي عليه من واقعية سحرية في النص الشعبي، على ما بقول كامو برائوت، إضافة إلى التداخل الديناميكي بين الأشكال الفنية لهذا الأدب وما يحمله من رؤية إلى العالم تقتض في علاقة الاتصال بين الطبيعة والتربية وما وراء الطبيعي وما وراء التربوي. ويذهب في هذا السياق إلى القول بما أن الطبيعة أدت إلى التربية، فإن التربية أدت إلى الفضاء الافتراضي وهو بالنسبة إلى التربية بمثابة التربية في علاقتها بالطبيعة، إذ يحاكي التربية بالطريقة نفسها التي تحاكي بها التربية الطبيعية. ويختّم بأن الأدب الشفاهي ليس ميثاقياً أو أفقي مؤهبة تحيا فحسب بل تصنع عندنا جسداً المكتوب وأشكال التسجيل الأخرى، بل هو حضور نابض بالحياة في الثقافات كافة.

سنة الإبداع القومي

الشهيد *

فسارس الضوء سيد يتقوى ويبحث الفجر الطميري ويحيى ويخط الحلم العظيم لشعب فسلسح الوعي من صنائع كفيه فسهل الخافقين هبل تتعزى وسئل الأمانة التي أسروها وسئل الصالحين عن مدد مشعل إثم مشعل يتقوى فإذا اختالت السنابل وجهها لا تضن الصخران إذ لمستها كيف تلك الأناجيل الخضر مست فإذا مفرق الرمال ورود وسيل السراب الخلاب ماء نمير آه يسا ميسلون كيف أضعف ولعقتنا جراحننا وابتسمنا ولحططين دفقة في دماننا والسنداء المحيد لي يغني لا يسد الأفق الكبير عتي يوسف المجذ أينما تتلفت إنها الكاس كاسنا يا رفيقي خل تموز وانتفاضة حططين واجرننا كما تجير السدواي شريف أن نصير فوق القربا وصلت في يد الشهيد كسيد فارس تعرف الشهادة منه قامة العزم تلن منه يوما وإذا ما تجهم الخطب أهدت فإذا الأرض بالجناحين أرض سورتته من كل حيف كمة وإذا العزم سابغ ووطيد يادمء الشهيد اتعمت بالآ طيبات النفوس تضرط طيبا

استطالت إلى التراب الحامل بيسمة الفجر تستضام وتؤكل والحرام الذي يسود محلل القدس ويهفول لفارس يترجل الله لا شرعة الزمان المخلخل لتعالى على الممانّن هيكل من سلب ومن شريد مدول وحلم علي الجذور تاصل وقلب الاحرار لا يتبدل هوان يهدى أو يتوغل فاعزري مهجة تنز ومقول صارنارا في القلب حين تأمل ضامخ موسامي وتقبل ودمأ كالأضيء يفضى ويصهل غرستها يداك في المستقبل لاخل الظلم والظلام ولزل خف للخير واليهاء المنزل فوقها سامق الجبين محجل وفداء الاسرى وقد المكبل والسحب فالشهادية معقل وتوسلت كاليراع المعول حلم مقيد لا يدول بسا جبر ولا بياني بمرزل في اللون، وعلى مع الخيال وحول عطره يرمال الضلع ويشغل خطوها في خزائن اللحن مقفل ويصلي مع النجوم ويرحل وإذا جسد المواريت أصل نبيعة الحب من نمير سلسل فيمن بعده الشهادة تحفل السموت، لا يلتوي ولا يتخسل وأقِيموا من قبل أن يترجل في حمى الشعر بالوفاء تجمل مثلما يشتهي الشهيد الأول

يادمء الشهيد ليت خطي المجد إن أرضاً لا يزرع السيف فيها فالصلاة التي نصلي حرام ما يزال المحراب يحلم في لنسودي صلاتنا كيف يرصى عمر لو غفا بجفن قرير كيف صرنا متعتمعين سكارى ولنسا اعدمن فالحق مقول الميامين لا تنام على الضيم كل حبر يخطه الطامع الباغي يسا رفساء الشهيد هذا نداءي وهن العزم غير أن مشيبي فاجرني يا أيها الفارس الشهم يسا صباحا مضرج ما يتجلى ها أنسا ذا متوج يكروم اعانقتها الأجيال تسلا جديداً وأصضاء نوروقها كل حي حين تزهو معالم الكون تزهو كغذا هذه تشاء المعالي لا اعتزاز بغير تنمية الإنسان ولهذا وقفت نبض فؤادي دولة الشعر لا تدول ونبس القلب أیه يا فارس الحمى ما قريضي كم تجلى حرفها وجهه مثلما يطغى البراعم حلم مثلما تخطط الصبانيا ولكن يتهاج الحروف عشبا وردا فإذا أصل التجدد أحيا كرمك الأصل كرم الفرع كرم وإذا مجد الشهيد بشعر من يرمو العلى، ويدفع مهر اسف الحسّن فانركوب يغني يسا دمءا الشهيد ذاك بياني قد ورثنا دم الشهيد وصركا

دمها يصنع المصير المؤصل حميما به الضمى يتزمل دمه بيدر وشمس وتمغل مثلما تعبق السورود وأفضل القدس رمياد، لكن روحه مشعل ولهبيا مصورا ومؤجل للمجد عبر العصور مؤئل بفغان، وظل في السروح جدرول وأنسو على حماك وأنهل ودروعي رميئة للسماول وسقونا شوكا وسما وحظل وتبوح شعوبنا وتمهل مسلالدا... فانت أنت المعول وشروقنا يضمخ الأفق أمئل وفترق أبصارهم وتوسل أو يضيء الصباح في عين تنبل حرك أرحامنا وتمهل بالسحب غذها وتمهل فبلسم جراحننا وتخلل إممولد الشهادة أجمل طعة، ولا تزل وتخلل ما درى سره الكلام المفصل يتجلى للحق منجي ومهل أخذ الحلم عندنا يتشكل وطريق إلى الحياة ومدخل أنت حررتة فكيف يكبل؟! يوسف كير ما أنسا وتمهل فوق قدس يباع بيع مغفل لا تصلي في القدس إلا بغفصل الاستود والسوا كئنا لم نفل لغة السور بيننا كيف تغزل وفؤادي من ضجة الشعر مرجل

* القيت في مهرجان الجنادية العاشر، 1994.